Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النقاشات الشهيرة حولَ فلسفة اللغة، لنيمِّمَ شطر «واڤرلي» (وهو النتاج الذي كانَ مَن ألفه هو المؤلِّفُ نفسه، بصورة علانية):

(١٠) لكن للأسف! ما الذي لبث يتوقَّعه قرّائي من أسماء تفيضُ بالفروسية شأن هوارد، وموردونث، وموريتمر، وستانلي، أو من مقاطع صوتية أكثر عاطفية وأرقّ من سابقاتها، من مثل بلمور، وبلڤيل، وبلفيلد، وبلغراف، وإن هي إلاّ صفحات ملئتْ تُرَهات شأن الكثير من المؤلفات التي أُريدَ لها أن تكون كذلك منذ ما ينيف عن نصف قرن؟**.

يتيحُ لنا هذا المقطع توفير عناصرَ تفكُّر أخرى. فلما كانَ المؤلف يفترض كفاية قارئهِ النموذجي، فإنه يعمد إلى تأسيسه في الآن نفسه. ونحن الذين لم نحُزْ على خبرة الرومانيين الغوطيِّين، التي كانَتْ لدى قرّاء «والتر سكوت»، مدعوون كذلك إلى إدراك أَنّ بعض الأسماء تضمر في ذاتها صفة «البطل الفروسي»، وأَنَّ بعضَ روايات الفروسية إنما تحفل بالشخصيات المذكورة أعلاه والتي تكشف عن طبائع أسلوبية مشوبة بالهنات وملومة بها بعضَ الشيء.

إذاً، أن يرتئي المؤلف قارئه النموذجي لا يعني، حصراً، أن «يأمل في وجوده، بل يعني ذلك أَنْ يؤثِّر في النص بما يؤدِّي إلى بنيانه (القارىء النموذجي). وبالتالي فإن النص، إذ يقومُ على كفايةٍ، فإنه يساهم في إنتاجها أيضاً. أيسعنا القول آنئذٍ، إن النص هو أقل كسلاً مما يتبدَّى لنا، وأن طلبه التعاضدي هو أقلّ تحرّراً مما يريد الإيحاء به؟ ما الذي يماثله بالقدر الأكبر؟ أيشبه إحدى هذه العلب «الكيت»، التي تحتوي عناصر مصنّعة، يستخدمها المستفيد منها ليصنَعَ منها نموذج إنتاجٍ متقن وحيداً وفريداً، دون أن تكون له أدنى حرية في تركيبها، فإن أقلّ خطأٍ منه يكون قاتلاً، أو يشبه (النص) لعبة ليغو (Lego) التي تتيح بناء كل أنواع الأشكال، بحسب الاختيار؟ ثم، أَوَليس بازلاً كاملاً، يُستَفاد منه، حالما يتشكل، أنه يمثِّل الجوكوندا، على الدوام، أم لا يكون يعدو حقاً كونه من عجائن البستل؟

أتكون ثمة نصوصُ معدةً لأن تأخذ على عاتقها الأحداث الممكنة التي تروح تتوقعها الترسيمة ١؟ أتكون ثمة نصوص تلعَبُ على حدود